

ملامح التفكير في انقراءة النص في التراث النقدي، - إسحاق بن وهب أنموذجا -

*Features of thinking about text readability in the critical heritage,
ISHAQ IBIN WAHB as a model*

يمينة رعاش

جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، (الجزائر)

rahmasetif19@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/04/17

تاريخ القبول: 2024/02/08

تاريخ الإرسال: 2023/09/11

الملخص:

تتغيا هذه الورقة البحثية رصد ملامح التفكير في انقراءة النص في التراث النقدي العربي ، وبالضبط لدى أبي الحسين اسحاق بن وهب ضمن كتابه " البرهان في وجوه البيان "، حيث يقع تصوره ضمن تصور أشمل للبيان الذي يشير إلى ضمان تحقيق تواصل جيد سواء أكان التواصل سمعيا أو بصريا. حدد ابن وهب عددا من الشروط التي تيسر الفعل القرآني، وهي شروط ترتبط بطريقة العرض وأسلوب التعبير ، إضافة إلى الشكل والتنظيم .

الكلمات المفتاحية:

الانقراءة، اسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، النص، النقد العربي القديم.

Abstract:

This research paper aims to detect the features of thinking about the readability of the text in the ancient Arabic critique, and exactly that of Abi Al-Hussein Ishaq Ibn Wahb in his book " Al-Burhan fi Wodjouh Al-Bayane ", where his perception belongs to Wider perception of the statement that indicates the achievement of good communication, whether communication is audio or Visually. Ibn Wahb specified a number of conditions that facilitate the reading act, which are conditions related to the way of presentation and the style of expression, in addition to the format and arrangement.

keywords:

Readability ; Isaac Ibn Wahb ; Al-Burhan fi Wodjouh Al-Bayane ; the text ; the ancient Arabic critique.

1. مقدمة:

ساعد التقدم التكنولوجي الذي يشهده عصرنا على إحداث تغييرات سريعة وهائلة في مجالات الحياة المتنوعة جميعها ، فكان تغير الأنظمة التواصلية والتعليمية لتساير ما استجد من معطيات العصر واحدة من أهم مظاهر العصرنة القرائية -إن جاز هذا التعبير - وأهمها كثافة ، وتبعاً لذلك اتجهت عناية الدارسين نحو بحث سبل تيسير التواصل القرائي ودراسة الجانب الكتابي المقروء ، وهو ما يصطلح عليه ب: "الانقرائية أو المقروئية"، التي ما انفكت تستأثر باهتمام متزايد لاسيما مع توسع استخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة على حساب الكتاب الورقي .

ونحن اليوم مع الألفية الثالثة ،وقد تشابك العالم اتصاليا في ظل الفضائيات والانترنت، لنا أن نتساءل : أين موقع الانقرائية في التراث العربي ؟ هل لها وجود ؟ وربما تأتي مشروعية هذا التساؤل مما حدث في عصر التدوين من : " تحول جذري في معنى الإبداع الذي انتقل من الشفاهية إلى الكتابية" ⁽¹⁾، فهذا التحول كان مهياً ليعطي ثمارا طيبة في مجال التواصل الكتابي، ومن ثم في مجال الانقرائية في التراث النقدي .

وعلى الرغم من أن الانقرائية هي علم حديث نشأ منذ فترة وجيزة بسبب التطورات الحاصلة- كما سبق وأشرنا -غير أن الدارس المدقق لا يعدم أن يجد إشارات وومضات تدعم فكرة وجود ملامح للانقرائية في التراث العربي، وهذا ما أكده أحد الدارسين حين ألمع إلى أن: " كتب التراث غنية في معالجة قضايا الاتصال، إلا أن العرب القدامى لم يتناولوا الاتصال بمسماه المعاصر ،فقد تحدثوا عنه تحت أسماء عديدة مثل البيان والبلاغة، وتحدثوا عن بعض أشكاله ووسائله، وتحدثوا عن شروط الاتصال الناجح" ⁽²⁾ .ويذهب الباحث علي يونس ابراهيم إلى ما هو أبعد من ذلك حين صرح قائلا: " وربما كانت القاعدة البلاغية (لكل مقام مقال) جامعة لجوانب عديدة من المقروئية." ⁽³⁾

بناء على ما تقدم ذكره ستتجه هذه الورقة نحو تحديد مفهوم الانقرائية كما تطرحها الدراسات المعاصرة ،ثم رصد ملامح التفكير في الانقرائية عند الناقد "أبي الحسين اسحاق بن وهب (ت222هـ) ⁽⁴⁾ :

2: مفهوم الانقرائية :

الانقرائية: هي ترجمة للمصطلح الانجليزي (Readability) ، وهي لفظة مشتقة من الجذر (Read) ولاحتقتين هما (abili) و (ty) ، بمعنى كون النص قابلا للقراءة ، من هنا يمكن القول : "إن النص قابل للقراءة لو أن شخصا ما يستطيع قراءة النص وفهم الرسالة ، مما يعني أن لهذا النص انقرائية".⁽⁵⁾

ويعرفها كيث جونسون (Keith Johnson) بأنها السهولة التي يمكن أن يقرأ بها نص ما، وترجع إلى كل العوامل التي يمكن أن تؤثر في نجاح قراءة النص وفهمه، ويقع ضمن ذلك اهتمام القارئ ودافعيته، فضلاً عن وضوح النص وحسن إخراجها، ودرجة تعقيد الكلمة والجملة.⁽⁶⁾

فالركن الأساس في هذا التعريف هو (السهولة التي يمكن أن يقرأ بها النص) وما يتضمن ذلك من أسباب لغوية أو متصلة بالإخراج أو بالجانب الذاتي لدى القارئ. وتجعل هيفاء السامرائي لتحقيق شروط التواصل الناجح حذا وافرا في التأسيس لمفهوم المقروئية حيث إن هذا المفهوم بالنسبة إليها يرتبط بمشكلة الاتصال بين المادة المكتوبة أو المطبوعة في وضوحها وغموضها أو سهولتها وصعوبتها، وبين القارئ وتوافقه مع المقروء، ومدى فهمه لما يقرأ.⁽⁷⁾

ويبدو الاتفاق واضحاً بين ما أوردته السامرائي مع ما جاء به الباحثان :محمد جهاد جمل وسمر روي الفيصل، حيث يرتبط مفهوم المقروئية عندهما بموضوع الاتصال بين الطالب والمادة المكتوبة في الكتاب، فالاتصال السليم بين المرسل والمستقبل لن يتم ما لم يفهم المستقبل الرسالة التي يبثها المرسل ومعرفة مضمونها ودلالاتها، ومقاصد المرسل العلنية والمضمرة، واتخاذ موقف محدد من الرسالة يستطيع المرسل بدوره أن يتخاطب مع المستقبل، فيؤدي إلى خلق حالة من الاندماج الفكري واللغوي.⁽⁸⁾

أما المفهوم الذي قدمه فراس جاسم موسى فلم يختلف كثيراً عن مفهوم الانقرائية الذي قدمه (كيث جونسون) والذي رأيناه قبلاً ،حيث يعرفها جاسم موسى بأنها درجة السهولة والصعوبة في فهم واستيعاب المقروء من قبل القارئ بعد تفاعل، وتوافق طبيعة القارئ

كميوله ودوافعه ومستواه العمري والفكري، وطبيعة المقروء من حيث الشكل والمضمون، كدرجة سهولته ووضوحه وأسلوبه.⁽⁹⁾

أما التعريف الأكثر دقة ووضوحاً فهو ما قدمه "ديل وشال (Dale and Chall) ومؤدى هذا التعريف أن: "المقروئية هي المحصلة النهائية لعدد من العناصر التي تشمل عليها مادة مطبوعة، بما في ذلك أشكال التفاعل بين هذه العناصر، والتي تؤدي إلى نجاح عدد من القراء في الاتصال بها."⁽¹⁰⁾

من خلال ما تقدم يتضح أن للمقروئية أو الانقرائية تعريفات كثيرة لا مجال لحصرها جميعاً وتفصيل القول فيها هنا، لكن يمكن أن نحصر مفهوم الانقرائية بأنها: درجة الصعوبة أو السهولة التي يمكن أن يقرأ بها نص ما، وترجع إلى كل العوامل التي يمكن أن تؤثر في نجاح قراءة النص وفهمه، ويقع ضمن ذلك اهتمام القارئ، فضلاً عن وضوح النص وحسن إخراجها، ودرجة تعقيد الكلمة والجملة.

ولنا أن نستخلص بعد أن عرضنا عدداً من التعريفات أن للانقرائية أبعاداً متعددة هي:

*المفردات وكيفية اختيارها.

*الجميل والتراكيب اللغوية المناسبة للقارئ.

*الأسلوب المناسب لعرض المادة المراد قراءتها.

*المحتوى الثقافي المنشود إكسابه للقارئ.

*دافعية القارئ وأغراضه من القراءة.

* الإخراج الفني للمادة المطبوعة.

3 : ملامح التفكير في الانقرائية عند أبي الحسين إسحاق بن وهب :

في التراث العربي نجد تراثاً ضخماً يدور حول الكتابة والكتاب، وبدأ هذا التراث بالظهور منذ أواخر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وأوائل القرن الثاني الهجري، ففي هذه المرحلة " حظي الكتاب بأهمية خاصة في مرحلة شهدت انصهار الأجناس والثقافات داخل الكيان الإسلامي العربي، وكانت مرحلة تفجرت فيها المعارف وتعمقت واتسعت وامتدت، ودعت الحاجة إلى تدوينها وحفظها وضبطها، وتهيأت وسائل الكتابة في الحواضر العباسية، فكان الانتقال من شيوع المشافهة في التواصل إلى شيوع الكتابة وانتشارها"⁽¹¹⁾، ومنذ ذلك

التاريخ تجمعت الأفكار حول المادة المكتوبة وسبل تناقلها بأفضل السبل وسعى النقاد العرب القدامى لتكريس ذلك، بعد أن هيمن البحث في مجال التواصل الشفهي مدة ليست باليسيرة، ويمكن أن نرصد في هذا المجال جهداً طيباً قدمه الجاحظ في إبراز فضل الكتابة على المشافهة ووضع الكتاب في أرقى منزلة في الوجود البشري⁽¹²⁾، فقد تنبه إلى كون: "الكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو جامعاً ولا يتجاوز إلى غيره"⁽¹³⁾، كما لاحظ أن ما يكتب يمكن أن يصحح أما ما يلقي ويلفظ به لا يستطيع تصحيحه⁽¹⁴⁾، كما يمكن أن نسجل اهتماماً منه ببعض من الشروط التي يمكن إدراجها ضمن الانقراطية مثل⁽¹⁵⁾:

- انتقاء الورق : حيث أشار إلى أنه بوصفه كاتباً يختار أن تكون كتبه من الورق الصيني ومن الكاغد الخراساني حتى تتحمل أحوال الطقس وظروف التداول بين مستعمليها والمستعيرين لها.

- التكوين المادي للكتاب : ممثلاً في الأوراق والكراريس وكيفية صيانتها وشدها قبل أن تنظم وتوضع بين دفتي الكتاب.

- مراعاة تصنيف المواد وترتيبها وتقسيمها إلى أجزاء .

- ضرورة وجود استعداد نفسي وعلمي لتلقي الكتاب لدى القارئ، وعلى القارئ أن يكون في مستوى التجاوب مع الكتاب فهما وإدراكاً واستيعاباً.

وعلى الرغم من هذا الاهتمام إلا أننا يمكن أن نلاحظ بوضوح أن حداثة العهد الكتابي حال دون التوغل كثيراً في بحث شؤون الكتابة، إذ إن: "صناعة التأليف لا تزال تخطو خطواتها الأولى لم تنهض لها سبلاً واضحة مرسومة معبدة... فهي إلى طور التدوين أقرب منها إلى طور التأليف فلم تصبح بعد أمراً مستقلاً تمام الاستقلال"⁽¹⁶⁾.

وقد استكمل ابن وهب مسيرة الجاحظ مقتفياً أثره، ولعل التمييز بين نمطين تواصليين كان المدخل الرئيس لبحث مسائل الانقراطية، وهو ما سنفرد له الأسطر الآتية:

3-1- التمييز بين التواصل الكتابي والتواصل الشفهي:

ميز ابن وهب بين نوعين من التواصل هما :

أ- **التواصل الشفهي:** يعتمد هذا النوع على الحاسة السمعية أساساً تدعمها حواس أخرى ، والمخاطب هنا حاضر مرئي يتوسل المخاطب لإقناعه والتأثير فيه وجذب انتباهه بوسائل لغوية وغير لغوية⁽¹⁷⁾.

ب- **التواصل الكتابي:** يستدعي اللجوء إلى هذا النمط من التواصل حسب ابن وهب عنصران: البعد والغياب بين الكاتب والقارئ⁽¹⁸⁾.

هذا النوع يعتمد على الحاسة البصرية بالأساس، أين تكون النصوص كما يصفها ابن وهب: "مستغنية عن جهازة الصوت وسلامة اللسان من العيوب، لأنها بالخط تنقل فتحتاج إلى أن (تشاهد) ويساعد حسن الخط"⁽¹⁹⁾، ولهذا تتطلب الجودة والإتقان، لأنها تقرأ أو يتأمل فيها ولا عذر فيها لصاحبها إن أخطأ، فأمامه الوقت الكافي لحضور ذهن قصد التروي في كتابتها وتنقيحها ومراجعتها، على خلاف الخطيب الذي يرتجل الكلام، فهو لا يملك الوقت الكافي للتحقيق والتحصيص، وهو ما دعا ابن وهب لأن يقول في موضع آخر من كتابه: "قأما الرسائل فالإنسان في فسحة من تمكينها، وتكرار النظر فيها وإصلاح الخلل إن وقع في شيء منها."⁽²⁰⁾

نلاحظ هنا لمحة ذكية من ابن وهب ، فالكاتب أثناء كتابته يكون في سعة من أمره ،يمكنه استدراك الخلل الحاصل، فيضيف ويحذف ويعدل كيفما أراد ، مما يعني أنه يمكنه " أن يستثمر هذه الكفاءة العقلية أكثر من المتكلم في المقام التخاطبي المباشر"⁽²¹⁾، وهذا نبه ما إليه ابن وهب قائلاً: "استعمال القلم أجدر أن يحضر ذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام." ⁽²²⁾

ومن جهة أخرى فإن الكتاب /الرسالة تتوب عن المتكلم في تبليغ الخطاب، ولا تحتاج الكتابة إلى حضور الكاتب كما لا يشترط حضور المرسل إليه، في مقابل الكلام الشفهي الذي يتضمن دائماً حضوراً مباشراً بين طرفي الاتصال، وهذا يعني من ضمن ما يعنيه أن متلقي الرسالة المكتوبة لن تكون له استجابة مباشرة بل يمكن أن توجد بعد مدة طويلة ، فهذا الصنف سمته الأساسية هي قدرته على تجاوز الزمان والمكان، هذا التصور يعززه كلام الجاحظ (أستاذ ابن وهب) حين ذكر أن: "اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب"⁽²³⁾، وإن كان الخطاب الشفهي مقصوراً على إبلاغ الحاضر في

الزمان والقريب في المكان، فإن الخط مطلق حيث له القدرة على إعلام الغائب في المكان والمسبوق في الزمان.

أضف إلى ذلك فإن الكتابة ما هي إلا تثبيت وتقيد يمنحها الديمومة ويجعل منها مرجعية دائمة يمكن العودة إليها في أي ظرف من الظروف المستقبلية، وبالتالي: "قابلية العلامة المكتوبة للتكرار في غياب منتجها الذي أنتجها في سياق معين، وكذا في غياب مخاطب محدد توجه إليه هذه الإشارة"⁽²⁴⁾، وهو نفس ما وضعه ابن وهب بقوله السابق حول الخط وإمكانية إفادته للغائب البعيد في الزمان والمكان، في حين أن: "الأصوات التي تصدر عن المتكلم تتبدد في الهواء ولا تترك أثرا (إلا إذا سجلت)"⁽²⁵⁾، وربما ما تحدث عنه ابن وهب والباحث قبله هو ما تحدث عنه بول ريكور Paul Ricoeur حين عرف النص بكونه: "خطاب مثبت بفعل الكتابة."⁽²⁶⁾

إن ابن وهب في خضم تميزه بين الأجناس النثرية الشفهية والكتابية منها نجده حريصا على تجويد قناة التواصل الشفهي المتمثلة في الصوت، ولكنه كان أشد حرصا حين تعلق الأمر بقناة التواصل الكتابي ممثلة في الخط وبيانه وسلامته ووضوح حروفه، فما هي بالضبط الشروط التي حددها؟

3-2- شروط تحقيق الانقرائية :

يتحدد التواصل باللغة المكتوبة بمهارتين أساسيتين هما: القراءة والكتابة. وترتبط بالقراءة عمليات عقلية أخرى تتأثر بمعطيات داخلية خاصة بالقارئ، وأخرى خارجية تتصل بالنص المقروء، وكلاهما يؤثر في استجابة القارئ النهائية لكل ما يقرأ.

وابن وهب في سعيه الدؤوب لأجل تحقيق تواصل قرائي ناجح، وضع عددا من الشروط التي تذلل صعوبات القراءة وتسمح باستقبال جيد للنص المقروء، وهي شروط تترد في مجملها إلى النص وتشمل:

أ- الشروط الشكلية (الإخراج الفني للنص):

لقد أدرك ابن وهب أهمية العوامل الإدراكية البصرية في تحقيق انقرائية النصوص وأن ما تشتمل عليه من وضوح الخط، وحجم الحروف، وشكل الصفحة وحجمها، وكيفية توزيع المادة عليها من كونها متراصة أو متباعدة، وكذلك التشكيل، جميع هذه العوامل تؤثر على

مدى الاستيعاب والفهم للمادة المقروءة، وهو ما تطرحه الدراسات الحديثة حيث إن: " وضوح المادة المقروءة يساعد بشكل كبير على مقروئيتها، وللطباعة دور كبير في مدى مقروئية النص، ويتمثل ذلك في حجم الحروف وطول الأسطر، والمسافات بين الكلمات والأسطر، ونوعية الورق، ولون خلفية الكتابة، إن تصميم الحرف وحجمه ووضوح الكلمات والمسافة بين الأسطر وحجم الصفحة ولون الحبر له أهمية في المقروئية، لذلك ينبغي أن تكون الحروف واضحة وكبيرة وملونة بحيث تناسب مدى نضج وإدراك الطلاب"⁽²⁷⁾

يحتفي ابن وهب بواحد من أهم عناصر التشويق عند القراء وهو الورق، لذلك حرص على أن يختار المحرر نوعيه جيدة للورق، وهو ما تنادي به النظرة الحديثة⁽²⁸⁾، ومما جاء في توجيهاته للكتاب: " أن يختار الوراق ألا يكتب في الجلود والرق بالحبر المطبوع"⁽²⁹⁾، وكذلك أن: "يختار المحرر أن يكتب عن السلطان في أنصاف الطوامير وفي الأدراج المنصورية العريضة، وعن نفسه وعن سائر الناس فيها أو الورق الكتاب"⁽³⁰⁾، فنلاحظ هنا اختلافا في نوعية الورق تبعا لاختلاف الطبقات الاجتماعية التي يتوجه إليها الخطاب المكتوب.

كما نجد ابن وهب حريصا على سلامة أدوات الكتابة بدءا بالقلم مروراً بالمداد الذي يكتب به، فـ"كاتب الخط يجب أن يكون إما وراقا أو محرر الألفاظ ومصورها ويحتاج إلى أن يجمع مع حلاوة الخط وقوته وسواد المداد وجودته وتفقد القلم وإصلاح قطته(قطع رأسه عرضا في بريه) ثم يحتاج المحرر إلى الإطالة من قلمه، فإنه أصفى لكتابته"⁽³¹⁾.

ويعلل ابن وهب حرصه وعنايته بأدوات الكتابة بما ذكره في كتابه: " لأن ذلك أقوى لخطه، كذلك سائر ما يكتب بالمداد."وهو بهذا الشكل يطرح مسألة جديرة بالتنويه وهي قوة الخط وسواد المداد في إشارة إلى وضوح الخط مقارنة بلون الورقة، وبعبارة أخرى التباين اللوني بين النص والخلفية.مما يسمح بانقرائية أكبر.

ومن الناحية التقنية للطباعة، وفي غياب أجهزة الطباعة في ذلك العصر واعتماد الكتاب على الخط اليدوي كان طبيعيا أن يفصل الحديث عن طريقة الكتابة ونوعية الكلمات الواردة في النص، حيث حرص على سهولة تمييز الحروف أو الأرقام عن بعضها البعض-

واستعمال الأشكال المعهودة المصطلح عليها، مستهدفا تحقيق عنصري الوضوح و الفهم ، وقد تجسد احتفاؤه بطريقة الكتابة في عدد من التوجيهات لعل أبرزها كما ذكر بنفسه:

- الأصل في خط أن تكون حروفه بيئة قائمة، ومن الأشكال بعيدة سالمة .
- لا يستعمل فيه تحنيف-أي إمالة - الذي يعميه إلا مع من جرت عادته بقراءة مثل ذلك.
- استعمال إقامة الحروف وحقائقها وأصول أشكالها كاستعمال المعهود من الكلام المصطلح عليه مع سائر الناس⁽³²⁾.

ويمكن أن نلاحظ بسهولة ويسر أن جميع التوجيهات المذكورة تشير إلى ضرورة استخدام الأشكال المألوفة للحروف لدى عموم القراء، بما يعبر عن رغبة في ظهور الكتابة ووضوحها وسهولة تمييز حروفها ،كما يمكن أن نتبين أن التوجيه الثاني عند ابن وهب يتساق مع التوجيهات الحديثة حيث إن: "استخدام الحروف الكبيرة والخطوط المائلة ...يؤدي الى إرباك القارئ وليس مساعدته على الفهم"⁽³³⁾

التنظيم: لم يكتف ابن وهب بهذه الحدود التي وصل إليها ولكنه حاول أن يوضح كيفية التصرف في تقسيم النص إلى فقرات تجعل عملية القراءة في متناول القارئ ،وهو ما نجده ماثلا في حديثه عن الحاجة الملحة إلى : "إلى جودة التقدير والعلم بمواقع الفصول"⁽³⁴⁾ ،قاصدا بذلك تقدير الفقرات والفصل بينها لأجل تيسير فهم المحتوى والتدرج في استيعابه ومن ثم مساعدة القارئ على تنظيم المعلومات ، وهو بهذه النقلة النوعية يؤسس لفكرة التنظيم الذي يوصف بكونه من أهم العوامل المساعدة على سهولة فهم المادة المكتوبة⁽³⁵⁾

لم ينس صاحب كتاب البرهان دور التنسيق الواضح والمنظم، فاستفاض في الحديث عن توزيع مساحة الكتابة في الورقة والشكل الذي ينبغي أن تكون عليه ،فجاء حديثه معضدا لما سبق وأشارنا إليه حين أكد ضرورة أن تتساوى الهوامش أو الفراغات بين بداية الكتابة وحواف الورقة من جميع جهاتها، متوخيا أن يكون: " شماله وأعلى وأسفله على نسب متساوية"⁽³⁶⁾.

ولأن قضية التنظيم فكرة مهيمنة على تفكير هذا الناقد، فكان طبيعياً أن يستدعي الحديث السابق حديثاً آخر عن بدايات الأسطر ، فقد وجه عناية الكاتب نحو مبدأ تنظيمي مفاده : "أن تكون رؤوس السطور وأواخرها متساوية. فإنه متى خرج بعضها عن بعض قبحت وفسدت" (37) .

كما أولى ابن وهب الجانب المتصل بتباعد ما بين السطور عنايته واهتمامه البالغ ،حيث وجه الكاتب إلى ضرورة أن يكون: "تباعد ما بين السطور على قسمة واحدة، إلا أن يأتي فصل فيزداد ذلك الفصل ،(و) إنما يقع بعد تمام الكلام الذي يبتدأ به واستئناف كلام غيره." (38)

ب- الشروط اللغوية (درجة تعقيد البناء اللغوي):

إن الانقراطية تتأثر بالتعقيد النحوي، حيث يزداد الفهم في النصوص ذات التعقيد النحوي البسيط ، على حين يقل الفهم في النصوص المعقدة نحوياً ،وليس الأمر كذلك لو تعلق الأمر بالمفردات الصعبة إذ يمكن تجاوز هذه الصعوبة بالرجوع إلى المعاجم، فلكي يفهم القارئ محتوى النص المكتوب ،فهو بحاجة إلى فهم البناء اللغوي للنص أولاً وقواعده ،" وقواعد البناء اللغوي ليست فقط القواعد التي يطبقها الكاتب لتنظيم العبارات .. إنها القواعد التي يفترض الكاتب أن المستقبل يعرفها لكي تكون لديه القدرة على استنتاج المعنى من العبارات، فالنحو وبناء الجملة هما مفتاح فهم اللغة" (39). لذلك حرص ابن وهب على الجانب النحوي الخاص بتركيب الجمل وكذلك سلامة الخط من الأخطاء اللغوية و الإملائية، وحتى يضمن ذلك فقد وجه كاتب الخط الى ضرورة امتلاكه الثقافة اللغوية اللازمة (40). وفي سبيل ذلك سطر قاعدة اعتبرها شرطاً على الكاتب لا ينبغي أن يحيد عنه هي: " أن يعرف من النحو... ما يسلم معه من اللحن والخطأ" (41).

ج- مراعاة المستوى التعليمي والثقافي للقارئ :

القراءة وسيلة اتصال بين القارئ والمادة المقروءة، وحتى يكون الاتصال فاعلاً فيتمكن القارئ من الوصول إلى المعاني المتضمنة في المادة المقروءة لا بد أن تكون المادة المقروءة مناسبة لقدرة القارئ.

ولأن ابن وهب كان مدركاً أن فهم القارئ للنص المقروء واستيعابه له رهين بمستواه التعليمي والثقافي ، "حيث كلما ارتفع مستواه التعليمي والثقافي، ارتفعت نسبة فهمه للمقروء، وكلما انخفض مستواه التعليمي والثقافي انخفضت نسبة فهمه أو صعب عليه الفهم"⁽⁴²⁾، تأسيساً على ذلك شدد ابن وهب على كتاب النصوص "مراعاة أحوال القراء، وتكييف النص المكتوب مع مقاماتهم التي تختلف باختلاف مستوياتهم وطبقاتهم"⁽⁴³⁾ وعليه فإن ملائمة لغة النص المكتوب لمستوى القراء وقدراتهم على الفهم والاستيعاب تعد من الخصائص المهمة لنجاح التواصل القرائي.

4. الخاتمة:

يتبين مما سبق أن التراث النقدي العربي لم يخل من ملامح التفكير في الانقرائية وهو ما وجدناه ماثلاً في جهود الجاحظ، وبدرجة أكبر في جهود إسحاق بن وهب .
- ميز ابن وهب بين التواصل الشفوي والتواصل الكتابي واضعاً خصائص وسمات لكل نوع .
- كما حدد شروطاً ومعايير لنجاح التواصل القرائي ، هذه الشروط ترتبط بطريقة العرض وأسلوب التعبير و الشكل والتنظيم كما ركز على مراعاة مستوى القراء .
- وأخيراً فإن كتاب البرهان في وجوه البيان ما هو إلا صورة واضحة تعبر عن فهم أسلافنا لفكرة التواصل الكتابي والظروف المؤثرة فيه ، ولا تزال هنالك حاجة ماسة إلى التقريب في التراث العربي والبحث عن ملامح الانقرائية فيه.

5. الهوامش:

- ¹ - عصفور، جابر: (مارس 1995م)، مديح القلم ،مجلة العربي ،المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ع 436، ص77.
- ² - أبو اصبع ،صالح خليل: نصوص تراثية في علم الاتصال المعاصر ،2001، دط، عمان/ الأردن، دار آرام للدراسات والنشر ، ص85.
- ³ - يونس، علي إبراهيم : (1975م) الانقرائية، مجلة التوثيق التربوي، المديرية العامة للتخطيط التربوي، وزارة التربية، العدد الثالث عشر، السنة الثالثة، بغداد، ، ص 36.
- ⁴ - ابن وهب الكاتب(ت 335 هـ/947م)، هو أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، نحوي ناقد ومؤلف عربي، وصاحب كتاب البرهان في وجوه البيان.
- ⁵ - محمود ،سعاد جابر:(2012) قياس انقرائية كتب اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية باستخدام برنامج كمبيوتر وأحكام معلميه، المجلة الدولية للأبحاث التربوية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع31، ص96.
- ⁶ - أبو عمنشة ، خالد حسين:المقروئية ماهيتها ،أهميتها وكيفية قياسها ، alAlukah (موقع الكتروني)
- ⁷ - السامرائي، هيفاء حميد حسن: (2004) قياس مقروئية كتب القراءة للصفوف الثلاثة العليا من المرحلة الابتدائية في العراق، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ، ص24.
- ⁸ - جمل ،محمد جهاد ، والفصيل، سمر روعي: مهارات الاتصال في اللغة العربية، 2004، العين، دار الكتاب الجامعي، ص24.
- ⁹ - موسى، فراس جاسم : (2012) قياس مقروئية كتاب القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي في العراق، رسالة ماجستير ،جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قسم البحوث والدراسات التربوية، مصر، ص93.
- ¹⁰ - أحمد طعيمة ،رشدي: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، 2004، دط، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 58-59.
- ¹¹ - أرحيلة ،عباس: الكتابة وصناعة التأليف عند الجاحظ ،2013، ط1، الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص57.

¹² - من المصنفات التي وضعها الجاحظ وتعبّر عن احتفاله بالتواصل الكتابي : (رسالة في القلم)، (رسالة في فضل اتخاذ الكتب)، (رسالة في مدح الكتاب)، (رسالة في مدح الوراق)، (رسالة في ذم الوراق)، لم يصل إلينا من رسائله في الموضوع إلا رسالته في ذم الكتاب . ينظر :

الحموي، ياقوت : معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس ، 1993، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، 212/5.

¹³ - الجاحظ، عمرو بن بحر : البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال ،بيروت، 1423هـ، 85/1.

¹⁴ - ينظر المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

¹⁵ - ينظر أرحيلة ،عباس: الكتابة وصناعة التأليف عند الجاحظ ، ص90- 97.

¹⁶ - المرجع نفسه ، ص24

¹⁷ - قط، مصطفى البشير: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، 2010، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 154، 155

¹⁸ - ابن وهب، اسحاق: البرهان في وجوه البيان ،تحقيق حنفي محمد شرف ، مكتبة الشباب ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ص 56.

¹⁹ - المصدر نفسه ، ص 153

²⁰ - المصدر نفسه، ص 151.

²¹ - حمام ، بلقاسم محمد : مفاهيم تحليل الخطاب في التراث العربي ابن وهب رائدا،(جوان 2018)، مجلة الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب ،جامعة مولود معمري ،تيزي وزو، مجلد 13، عدد2، ص36

²² - ابن وهب، اسحاق : البرهان في وجوه البيان ،ص255.

²³ - الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، 85/1

²⁴ - عابد، رشيدة: (مارس 2021)، التأليف بين الشفوية والكتابية ،قراءة في التصورين الغربي والعربي الإسلامي ، مجلة المدونة ، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية ،جامعة البليدة 2، مجلد8، عدد1، ص587.

²⁵ - ينظر : سلدن ،رامان ، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دت، دط، مصر، دار قباء للطباعة، ص 24، ويضيف المؤلف فرقا آخر هو أن الكتابة قابلة للتكرار، وهذا التكرار يتم بواسطة الطباعة وإعادة الطباعة.

²⁶ - فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر ، 2002، دط، المغرب/بيروت، دار افريقيا الشرق ، ص133.

²⁷ - بني صعب، وجيه بن قاسم القاسم: مقروئية الكتب المدرسية، 2009، دط، الرياض، السعودية، ص63.

- 28- البسيوني سامية علي: (2002م)، قياس بعض جوانب إنقرائية كتب اللغة بالحلقة الأولى من التعليم الأساسي، مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، كلية التربية جامعة عين شمس، القاهرة، ع (19)، ص 167.
- 29- ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حنفي محمد شرف ، ص 256
- 30- المصدر نفسه ، ص 256
- 31- المصدر نفسه، ص 256
- 32- المصدر نفسه ، ص 257
- 33- سليمان، محمد، وعبد القادر، إقبال: (2002م) مستوى مقروئية نصوص اللغة العربية المقرر للصف السادس الأساسي في محافظة نابلس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ، ص 16.
- 34- ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حنفي محمد شرف ، ص 256.
- 35- البسيوني، سامية علي: قياس بعض جوانب انقرائية كتب اللغة ، ص 167
- 36- ابن وهب : البرهان في وجوه البيان، ص 256، 257.
- 37- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- 38- المصدر نفسه ، ص 257.
- 39- البسيوني، سامية علي: قياس بعض جوانب انقرائية كتب اللغة ، ص 166.
- 40- ابن وهب ، اسحاق: البرهان في وجوه البيان ، ص 260
- 41- المصدر نفسه ، ص 260
- 42- البسيوني ، سامية علي: قياس بعض جوانب انقرائية كتب اللغة ، ص 166.
- 43- ابن وهب ، اسحاق : البرهان في وجوه البيان ، ص 258.

6- قائمة المراجع:

- 1- أرحيلة عباس: الكتابة وصناعة التأليف عند الجاحظ ، 2013، ط1، الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- 2- أبو اصبع ، صالح خليل: نصوص تراثية في علم الاتصال المعاصر، 2001، عمان/ الأردن ، دار آرام للدراسات والنشر.

- 3- الجاحظ، عمرو بن بحر : البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
- 4- جمل، محمد جهاد ، والفيصل، سمر روجي: مهارات الاتصال في اللغة العربية، دار الكتاب الجامعي، العين، 2004.
- 5- سلدن، رمان: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دت، دط، مصر، دار قباء للطباعة.
- 6- بني صعب، وجيه بن قاسم القاسم: مقروئية الكتب المدرسية، 2009م، السعودية، الرياض.
- 7- طعيمة، رشدي أحمد: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، 2004، القاهرة، دار الفكر العربي.
- 8- فضل، صلاح : مناهج النقد المعاصر، 2002، المغرب/بيروت ، دار افريقيا الشرق.
- 9- قط ، مصطفى البشير: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، 2010، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 10- ابن وهب، اسحاق: البرهان في وجوه البيان، تحقيق محمد حنفي شرف .

الدوريات والمجلات:

- 1- البسيوني، سامية عليّ: (2002م). قياس بعض جوانب إنقراطية كتب اللغة بالحلقة الأولى من التعليم الأساسي. مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، كلية التربية جامعة عين شمس، القاهرة، ع (19).
- 2- حمام، بلقاسم محمد: مفاهيم تحليل الخطاب في التراث العربي ابن وهب رائدا، (جوان 2018)، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مجلد 13، عدد2.
- 3- عابد، رشيدة : (مارس 2021م) التأليف بين الشفوية والكتابية، قراءة في التصورين الغربي والعربي الإسلامي، مجلة المدونة ، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات - جامعة البليدة2، مجلد8، عدد1.

4- عصفور ، جابر: (مارس 1995م)، مديح القلم ،مجلة العربي ،المجلس الوطني للثقافة والفنون ،الكويت ،ع436.

5- محمود، سعاد جابر: (2012) قياس انقراطية كتب اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية باستخدام برنامج كمبيوتر وأحكام معلمها، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع31.

6- يونس، علي إبراهيم : (1975م) الانقراطية، مجلة التوثيق التربوي، المديرية العامة للتخطيط التربوي، وزارة التربية، بغداد ، العدد 13، السنة الثالثة.

الرسائل الجامعية والأطروحات:

1- السامرائي، هيفاء حميد حسن: (2004) قياس مقروئية كتب القراءة للصفوف الثلاثة العليا من المرحلة الابتدائية في العراق، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد.

2- سليمان، محمد، وعبد القادر، إقبال: (2002م) مستوى مقروئية نصوص اللغة العربية المقرر للصف السادس الأساسي في محافظة نابلس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

3- موسى، فراس جاسم : (2012) قياس مقروئية كتاب القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي في العراق، رسالة ماجستير ،جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قسم البحوث والدراسات التربوية، مصر.

المواقع الإلكترونية:

1- أبو عمشة، خالد حسين: المقروئية ماهيتها، أهميتها وكيفية قياسها، (alAlukah موقع الكتروني)

المعاجم:

1- الحموي، ياقوت: (1993) معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.